

مذنبون... جميعاً!

يصعقني الذهول وأنا أطلع يوماً بعد يوم على ما يُتحفنا به مختلف المسؤولين السياسيين في لبنان، ومعهم المدعي العام، من تصريحات قاتلة للحريّات. وقد اكتشفت أخيراً أنه محظّر على أي لبناني أن يوجّه أي نقد لأي دولة أمام المحافل الدولية دون استئذان الحكومة اللبنانية مسبقاً. وإذ يستهدف هذا الإجراء رسمياً مداخلة رئيس الوزراء السابق ميشال عون أمام الكونغرس الأمريكي، فهو يتجاوز وبأسواط إطاره الفردي.

ولكوني مدافعاً عن حقوق الإنسان في لبنان وغير لبنان، فالإجراء المذكور يجعلني في خانة الخارج عن القانون في كل خطوة ضمن ممارستي اليومية. ومنه، فتوقيع عريضة دفاعاً عن جائزة السلام البيرومانية "أونغ سان سوو كوي" مثلاً، قد يُعتبر إخلالاً بالعلاقات بين لبنان وبيرومانيا. والدفاع عن سعد الدين ابراهيم في مصر أو سهام بن صدر الدين في تونس، لجاز تشبيهه بالخيانة.

هذا عدا عن مساعينا لصالح اللبنانيين المعتقلين قسراً. فإدانة الموت البطيء وفي الخفى، المطبّق بحق أكثر من منّي لبناني قابع في السجون السورية، لهي دون شك خيانة عظمى... فماذا عن الدفاع عن هذه الضحايا أما البرلمان الأوروبي مثلاً؟ أليكون خيانة متعاطمة؟؟ بهذه "العقلانية" بالذات، يتم تلقيننا بتفسيرات متواصلة مفادها أن كلّ ذلك ليس إلا من الإجراءات العادية جداً المتخذة في أي دولة ديموقراطية عادية!.. كذا! والحال أن مسؤولينا السياسيين "يستهلوننا" بالمعنى المألوف، وذلك صوتاً لتلك "العلاقات الدولية"!

وما يدفع بي إلى الردّ هنا، أن هذا الإنتهاك الجديد لحرية التعبير يخرط في حملة تهجم متواصل على المنظمات غير الحكومية على اختلاف مجالات نشاطاتها.

وإذا ما سايرنا النظام اللبناني في نمطه "العقلاني" هذا، فقد ينطوي عليه أن أي تعبير أو أي التزام لصالح حقوق الإنسان وفي أي دولة في العالم، لن يكونا إلا باذن من مجلس الوزراء في بيروت!!!

ثمة رؤوس نيّرة في لبنان، قد تراه أمراً طبيعياً. أما أنا، فرأيي أن لبنان الرسمي قد خطا قطعاً هنا خطوة إضافية إلى الدكتاتوروية، موجّهاً مرة أخرى من الرسائل البغيضة إلى كافة المواطنين، مما يخيرهم بهاك "المنطق" بين كمّ الفاه أو المنفى.

وعليه، فيجب ألا تنسينا هذه الإتهامات، بشكلها واستغلالها السياسي، أننا معيّون جميعاً بهذا المفهوم المبتدع لحرية التعبير، البادي لدى النظام اللبناني. وأن نرى فيه مجرد تعثر مرحلي، لن يؤثر بشيء في مسار الأمور. ثمة اقتناع مزعج لدي، بأنه موجة صاعدة تجرفنا نحو التخلف وكمّ أفواه المجتمع المدني وكافة المعارضين. فلا مجال للتريث حتى تطالنا إحاداً! ولنوجّه رسائل إلى السيد عضوم نتطالبه فيه بملاحقتنا لكلّ ما وقّعناه من عرائض!!!

وديع الأسمر

نائب رئيس حركة "سوليدا" لدعم اللبنانيين المعتقلين قسراً